

## المحتويات

11	قائمة الجداول
13	قائمة الرسوم البيانية
17	تمهيد
21	الفصل الأول: تأطير: الاستدامة في نمط نمو الإنتاج
22	أولاً: نظرة على دول مجلس التعاون
26	ثانياً: الخلل الإنتاجي
33	ثالثاً: نحو فهم جديد للخلل الإنتاجي: إعادة تجديد عوامل الإنتاج
37	رابعاً: نمط نمو الإنتاج بين التنظير والتأريخ
45	الفصل الثاني: النفط: استملاك البيئة وتصديرها
45	أولاً: تاريخ استعمال النفط
53	ثانياً: النفط كسلعة متخيلة
56	ثالثاً: تاريخ تحويل النفط إلى سلعة عالمية
65	رابعاً: تاريخ النفط كسلعة في دول الخليج العربية
77	خامساً: انعكاسات سوق النفط على نمط نمو الإنتاج في دول الخليج العربية
89	الفصل الثالث: نمط نمو الإنتاج في دول الخليج العربية: الإطار النظري العام
90	أولاً: دورة تراكم رأس المال
94	ثانياً: دورة تراكم رأس المال في دول الخليج العربية: تصدير النفط واستيراد قوة العمل
100	ثالثاً: مفهوما «السوق» و«الدولة»
108	رابعاً: مساحات نمط التراكم في دول الخليج العربية

119	<b>الفصل الرابع: النفط كنفد: أوجه استعمال الإيرادات النفطية</b>
120	أولاً: قيمة إيرادات النفط التي تدفقت على دول الخليج منذ أول برمبل تم تصديره
123	ثانياً: أوجه استعمال إيرادات النفط: خارطة أولية
129	ثالثاً: أوجه إنفاق إيرادات النفط على أرض الواقع
141	رابعاً: المصروفات غير المعلنة في دول مجلس التعاون
147	خامساً: شفافية الميزانيات في الخليج والمصروفات والإيرادات غير المعلنة
151	سادساً: أوجه إنفاق إيرادات النفط في بداية تكوين الدولة
157	<b>الفصل الخامس: تكوين الدولة: إمارات الحداثة النفطية</b>
157	أولاً: دول إمارات الحكم المطلق
162	ثانياً: العوائل الحاكمة والتبعية للغرب
176	ثالثاً: النفط يتفاعل مع أجهزة الحكم المطلق المحدث
190	رابعاً: بروز نجم شركات الاستشارات الإدارية في القرن الحادي والعشرين
197	<b>الفصل السادس: رأس المال والتكنولوجيا: جدلية النمو الكمي والإنتاجية المتدنية</b>
197	أولاً: الإنفاق الحكومي والاقتصاد غير النفطي
201	ثانياً: مفهوم رأس المال
210	ثالثاً: المنشآت الربحية في دول الخليج
224	رابعاً: المشاريع العامة في مقابل الشركات العائلية في اقتصادات الخليج
234	خامساً: الواردات والاستثمار الخارجي
247	<b>الفصل السابع: قوة العمل: الإنسان بين التسليح والاستيراد</b>
247	أولاً: مفهوم قوة العمل
252	ثانياً: تعريف وتوصيف «الخلل السكاني»
256	ثالثاً: سوق عمل المواطنين في الخليج
263	رابعاً: دورة تجديد قوة العمل المواطنة
270	خامساً: سوق عمل الوافدين
277	سادساً: دورة تجديد قوة العمل الوافدة
286	سابعاً: التكنولوجيا والإنتاجية في سوق العمل «العالمي»
293	<b>الفصل الثامن: تاريخ العلاقات الاقتصادية في عصر النفط: المواطن ورأس المال والدولة</b>
295	أولاً: طور الغوص والتجارة والرعي في مجتمع ما قبل النفط
303	ثانياً: طور صناعة النفط والحركات العمالية والسياسية الموازية

312	ثالثاً: الكويت وأول دولة «سوبر رفاه».....
327	رابعاً: الستينيات: توسع دولة الرفاه والخوض في غمار تنويع الإنتاج ومصادر الدخل .....
338	خامساً: انفجار السبعينيات الكبير: اصرف ما في الجيب.....
349	سادساً: الركود في الثمانينيات والتسعينيات: الاقتصاد يترنح.....
355	<b>الفصل التاسع: تاريخ هجرة الوافدين إلى دول الخليج العربية.....</b>
357	أولاً: السيادة على الأجانب وتقنين صناعة الغوص في ظل الاستعمار البريطاني.....
363	ثانياً: الكفالة في بداية عصر النفط.....
369	ثالثاً: انتشار نظام الكفالة وحصره في المواطنين خلال مرحلة الاستقلال .....
380	رابعاً: طفرة السبعينيات والتوسع في اجتذاب العمالة.....
386	خامساً: تبعات الهجرة على الوافدين.....
401	<b>الفصل العاشر: المساحة والعقار: مدن الحداثة النفطية .....</b>
401	أولاً: مفهوم المساحة.....
403	ثانياً: المساحات في اقتصادات تصدير النفط واستيراد قوة العمل.....
411	ثالثاً: مساحة دورة النقد في الخليج.....
416	رابعاً: العقار كسلعة متوهمة.....
418	خامساً: مدن الحداثة النفطية.....
431	سادساً: تاريخ نشوء مدن الحداثة النفطية في الخليج.....
436	سابعاً: الإسكان ونمط استعمال العقار.....
443	ثامناً: حمى المشاريع العقارية الكبرى .....
455	<b>الخاتمة: ما العمل؟ أولوية البيئة والإنسان في نمط نمو الإنتاج.....</b>
455	أولاً: ملخص نمط نمو الإنتاج.....
459	ثانياً: ما هو الخلل الإنتاجي؟.....
471	ثالثاً: ما العمل؟.....
472	رابعاً: نموذج دبي.....
476	خامساً: أولوية البيئة والإنسان.....
480	سادساً: نحو مجتمع ديمقراطي منتج مستدام.....
501	<b>المراجع.....</b>
515	<b>فهرس.....</b>

## تمهيد

يحاول هذا الكتاب الإجابة عن السؤال التالي: ما هو شكل الإنتاج الاقتصادي في دول مجلس التعاون في عصر النفط، وما هي العلاقات الاجتماعية التي نمت حوله، وهل هو مستدام مستقبلاً؟ معلوم أنه منذ أن اكتُشفت أول بئر في البحرين عام 1932، أصبح إنتاج النفط هو المحرك الرئيسي للحياة الاقتصادية والاجتماعية في دول الخليج العربية. وبناء على غزارة آبارها مقابل تدني تكلفة إنتاجها، أضحت المنطقة وصلة محورية في نظام الاقتصاد العالمي في مطلع القرن الحادي والعشرين، حيث لا تزال هي المنتج الرئيسي للنفط المستهلك في العالم منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى اليوم، وهذا جعلها من الدول الأكثر دخلاً للفرد عالمياً. وقد تزامن ذلك مع نمو سكاني كان الأعلى دولياً، مرتكزاً أساساً على تدفق العمالة الوافدة إلى المنطقة، حتى بات مجموع الوافدين يوازي إجمالي عدد المواطنين. كما انفردت دول المجلس من ناحية النظام السياسي المبني على الحكم المطلق، حيث يسيطر الحاكم وعائلته على أهم مفاصل الدولة السياسية والاقتصادية، تحت مظلة أمنية - عسكرية تتكفل بها الدول الغربية الكبرى، وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية.

كيف لنا أن نفسر هذه الظواهر الاقتصادية - السياسية - الاجتماعية لدول مجلس التعاون، عبر سردية تأخذ بعين الاعتبار خصوصياتها، وتضعها أيضاً في سياق الاقتصاد العالمي، بدلاً من التعاطي معها كحالة شاذة كلياً؟ فعلى الرغم من مضي ما يقارب تسعين عاماً على اكتشاف النفط في المنطقة، وبروز أنظمة اقتصادية، خلال هذه الفترة، أصبحت الأكبر والأهم في الوطن العربي، إلا أنه من المفاجئ الندرة الحادة للدراسات التي تتناول تاريخ نشوء هذه الاقتصادات بشكل منهجي وعميق. وعلى الرغم من الرؤى التنموية الرسمية المتعددة، والتقارير الدورية التي تصدرها المؤسسات العالمية، إلا أن الأدبيات التي تتناول هيكلية اقتصادات دول الخليج العربية بشكل جدي تبقى محدودة إجمالاً؛ وباستثناء بعض الاستثناءات، لا تزال تركز أساساً حول سرديات «الدولة الريعية» أو «الاقتصاد النيوكلاسيكي»، وكلاهما يتبعان تقاربتين تعانين تصوراً من عدة أوجه تحدُّ قدرتها على تبيان وتفسير بنية المنطقة الاقتصادية .

ولهذا القصور تبعاتٌ مصيرية تتعدى البعد البحثي، إذ ينعكس هذا التسطّيح على السياسات العامة في المنطقة، حيث ينحصر اتخاذ القرار في قلة قليلة ترسم السياسات حسب أهوائها ومنفعتاتها الشخصية، وتعتمد على نحو شبه حصري على شركات استشارات غربية لها فهم محدود للمنطقة من وجهة نظر ومصالح معينة، ينتهي بها الحال إلى إعادة تدوير آخر صرعاتها بين هذه الدول، فيتم القفز من «موضة» إلى أخرى في الرؤى والمصطلحات، أكانت «الخصخصة» أو «ريادة الأعمال» أو «التنافسية» أو التحول إلى «مركز عالمي (Hub)». وهذه الفذلكات التي تتكرر دورياً على مدى السنوات الماضية، بعيدة كل البعد من مواجهة أساس الخلل الإنتاجي الذي يتواصل في التفاقم، وتزايد الاعتمادية على إنتاج النفط وإيراداته في تسيير الاقتصاد. وبدلاً من التعاطي مع أسس الخلل مباشرة، يتم الشروع في مشاريع قلماً تداويه، بل تُعاطَم المعضلة في أحيان كثيرة، حيث تُبتلع البحار والصحاري، وتُهدم الأحياء التاريخية، وترتفع إنفاقات الدولة وديونها، في سبيل بناء مدن جديدة «عالمية» غير معلوم من سيسكنها، ووظائف متدنية الرواتب والإنتاجية والحقوق، وتسليع الصحة والتعليم، وغيرها من السياسات التي تُبهرج وتُقدّم على أنها تنمية وازدهار ورقي، بينما - في رأيي - هي النقيض من ذلك تماماً. هذا بينما ينضب النفط، وتُستهلك الطبيعة، ويزداد التلوث، وتُهدم الضواحي وتبنى من دون أي رأي لأغلبية الأهالي، المطلوب منهم أن يتأقلموا بل ويمجدوا هذه السياسات وصناعاتها. وقد تزامن اكتمال هذا الكتاب مع اشتداد قبضة احتكاري السلطة على عنق المنطقة، حتى شملت بعض من أسهموا في هذا العمل. وقد دفعنتي تجربتي الشخصية مع هذه الحالة العامة في دول المجلس، وقناعتي المتنامية بأن تفاقم أوجه الخلل المزمته أصبح خطراً مصيرياً يُحدق بأهالي المنطقة، أن أسطر ما لديّ في هذا الكتاب، كوسيلة للتعبير عما يلوج في النفوس، والتشديد على أننا ما زلنا هنا ونحاول. فالعين تُبصر، واليد تكتب، والعقل ينقد، والقلب يسرد، وذلك أضعف الإيمان.

بناء على ذلك، فإن الهدف الأول لهذا الكتاب هو تفصيل نمط نمو الإنتاج في دول مجلس التعاون في حقبة النفط، التي يمكن حصرها في الحقبة الممتدة من ثلاثينيات القرن العشرين إلى لحظة كتابة هذه السطور في عام 2018، من منظور نقدي وتاريخي يتناول هذه البنية الاقتصادية من منطلق العلاقات الاجتماعية التي تشكلت حولها. ولكن هذا الهدف يجزئنا إلى المسعى الآخر، وهو تقييم نمط النمو من ناحية متطلبات وهموم أهالي المنطقة، الذين تجمعهم وحدة المصير في التعاطي مع هذا النمط الإنتاجي. فبعد تبيان خصائص نمط نمو الإنتاج نسأل: هل هناك خلل فيه؟ وإذا كان كذلك كما يوحي عنوان هذه المخطوطة، فما هو هذا الخلل؟ وبذلك يكون تبيان هذا الخلل في الإنتاج هو المحور المهم الآخر لهذا الكتاب.

إذاً، في الحصيلة ستكون الأسئلة الرئيسية التي توجّه سرْدنا هي التالي: ما هو نمط نمو

الإنتاج، والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية التي تمحورت حوله في دول الخليج في عصر النفط؟ وهل هذا النمط الإنتاجي مستدام، أم أن هناك خللاً إنتاجياً يعكر مستقبله؟ إذ كيف يقوم النمط الإنتاجي والنظام الاقتصادي المرتبط به في الخليج بإعادة إنتاج وتجديد نفسه على نحو متواصل ومنتظم؟ وإن لم يستطع هذا النمط الإنتاجي، لأي سبب من الأسباب، ضمان استمراريته وتجده، وبأن وجود الخلل وأنه غير مستدام، فما العمل؟

هل لنا أن نصف هذا الكتاب بأنه دراسة اقتصادية أساساً، أم نضعه في خانة الأعمال التاريخية، أم علوم الاجتماع، أم السياسة؟ لا أعلم، والحقيقة أن التصنيفات الصارمة لا تعينني، بل حاولت أن أجعل جدلية الدراسة هي ما توجه دفة السرد أينما قادتني، في درب الإجابة عن إشكالية الكتاب الرئيسية. وقد استعملت في سبيل ذلك الروايات التاريخية، والمقابلات الشخصية، ومصادر الأرشيف، والإحصاءات، ومخططات وخرائط المدن، والجرائد ومنصّات التواصل الاجتماعي، والنظريات المجردة، وتحليلات النصوص والخطابات، وأي منهجية وجدتها مفيدة لهذا المبتغى، من دون تقييد نفسي وحصرها في زاوية أو إطار معيّن. وقد تطلّب مني هذا العمل أن أعرج على تاريخ اكتشاف النفط في شبه الجزيرة العربية، وتغلغل الاستعمار البريطاني في أراضيها، ونشوء الدولة الحديثة، وبروز خدمات الرفاه الاجتماعية، ومطالبات الحركات السياسية التي نُظمت بين مواطنيها، ونشأة نظام الكفالة وشبكات الهجرة التي تشكّلت حوله، ونمط بناء المدن الحديثة في المنطقة، واستملاك مواد الطبيعة واستغلالها من أراضٍ وبحار، على سبيل المثال لا الحصر من مواضع وجدت أنه من الضروري أن أتطرق إليها إن أردت الإجابة على نحوٍ وافٍ عن السؤال الذي بدأنا منه. وقد حاولت مقارنة كل هذه المحاور من منظور مختلف نقدي، يتفاعل مع ويتجاوز السرديات المتداولة عامّةً. ولذلك، أأمل أن يجد الملمّ بالاقتصاد، والتاريخ، وأدبيات السياسة والدولة، وعلوم الاجتماع، ودراسات العمران والمدن، والقارئ المهتم بدول الخليج العربية عموماً، كل منهم ما يثير انتباهه بين دفتي هذا الكتاب. وقد طمحت خلال كتابته أن أعتمد قدر الإمكان على أسلوب سردي متيسر للقارئ غير المختصّ أياً كانت اهتماماته وتوجهاته، من دون الإخلال بالمحتوى والمعاني المقصودة.



استغرق هذا الكتاب جهداً أكثر من خمس سنوات. وبالطبع، إن أي عمل من هذا النوع والحجم ما كان له أن يكتمل من دون دعم كوكبة من الجهات والشخصيات الذين سخروا - مشكورين - وقتهم ومواردهم في سبيله. ويعتبر هذا العمل هو ثاني دراسة لي باللغة العربية حول أوجه الخلل المزمنة في دول مجلس التعاون، حيث تناولت الأولى (اقتلاع الجذور) الخلل السكاني في المنطقة، بينما يتناول الثاني، أي هذا العمل، الخلل الإنتاجي-الاقتصادي في دول المجلس. وفي

مقدمة من يعود لهم الفضل في تمكين هذا العمل هما أستاذاي ومُلهماي وصديقاَي د. علي خليفة الكواري ود. علي فهد الزميع، اللذان وضعاً ثقتهما فيّ في سبيل أهدافنا المشتركة في دراسة هموم المنطقة التنموية. هذا بالإضافة إلى الدعم المتواصل من الأستاذ جاسم خالد السعدون ود. فهد علي الزميع، خلال مرحلة إعداد هذا الكتاب.

صُيِّقَت وعُمِّقَت الأفكار الواردة في هذا الكتاب عبر التفاعل مع تعليقات زملاء الذين قرأوا المخطوطة وأبدوا رأيهم فيها مفصلاً، وأخص بالذكر هنا إبراهيم شريف السيد، ود. ماجد المنيف، وعيسى شاهين الغانم، ود. عبد الرزاق التكريتي، ومحمد الحارثي، ود. سعيد الصقري، وعصام الزامل، وأحمد القفاري، وسعيد الهاشمي، وهاني الخراز، وسعد المطوي المهندي، ومرزوق النصف، وسعد العدواني، وأحمد العوفي، وسلطان العامر، وجنان الشويخ، ومحمود المحمود، ودلال موسى، ومنصور الجمري. كما أنني استفدت في تطوير أفكارِي من مناقشات ممتعة مع منزي القطو، وأدم هنية، وعمر شويكي، ود. يوسف خليفة اليوسف، وطلال الرشود، وخليل بوهزاع، وأخي العزيز د. سعد الشهابي. وأوجّه شكرياً خاصاً لحمد أحمد الريس على تحمُّله أعباء تدقيق وتحرير المخطوطة لغوياً. وقد كان لمحمد عبد الله الدوسري، وعبد الوهاب العنزي، ودلال واد عيسى، ونورة الحسن، ومحمد الحايكي، وظيفية الرفاعي، ونور بهمن، وآيدن أمري دور مهم في المساعدة على تجميع بعض الإحصاءات ومواد الأرشيف، كما زودني مشكوراً ببعض الإحصاءات المتعلقة بالبحرين كل من د. عبد الله عبد العال وسمية الجزيري وحسين علي. كما أوجه تقديري للأخ الدكتور يوسف الصواني وبقية الفريق في مركز دراسات الوحدة العربية على جهودهم في إخراج ونشر الدراسة في هيئتها الحالية.

وبالتأكيد، فإن أي ما أقوله لن يوفي حق أسرتي علي، وفي مقدمتهم والدتي عائشة وعمي عبد العزيز وأخي سعد وشريكة دربي إسرائ. وقد فرحنا جميعاً بتزامن انتهاء هذا الكتاب مع قدوم عضو العائلة الجديد هشام الصغير، والذي سُمِّي تيمناً بجده الذي تبقى ذكره ومبادئه وأفعاله هي بوصلة الثوابت التي أقيس بها عمالي في الحياة.

واخيراً، أتوجه بالشكر إليك أيها القارئ الكريم على قراءة هذا الكتاب، وخصوصاً في عصرنا الذي أضحى مزدحماً بسبيل لا مُنتَه من منتجات التواصل الاجتماعي الافتراضي. وأتمنى أن تجد في طيّات صفحاته ما يجلب لك بعضاً من المتعة والتأمل والفائدة، كما كان لي في رحلة إعدادهِ.